تفسير الأحلام من خلال التراث المستغانمي:دراسة انثروبولوجية

د. مناد سميرة

جامعة مستغانم

مقدمة:

يتعدى محتوى الأحلام البعد الفردي السيكولوجي إلى البعد الإجتماعي فهي تحمل في طياتها معطيات اجتماعية هامة إذ أن الرموز التي نراها في أحلامنا مأخوذة من تجربتنا أثناء اليقظة "أي أننا في حالة العزلة، حيث يحتوينا النوم، نرى من جديد ما إجتاح أبصارنا وبدّل حواسنا حين كنا على اتصال مع أمثالنا وأكثر من ذلك فنحن لا نرى هذه الصورة فقط ولكننا نعرفها لأننا ننسب إليها معنى ونستطيع أن نعرضها في اليقظة، أي أن نؤولها مستعينين بمفاهيم مشتركة مع أشخاص جماعتنا وهذا يعني بالتالي بأن جزءا على الأقل من عادات الحياة الاجتماعية يستمر في الحلم. [1]

الأحلام رموز و الرمز هو مادة اشتغال الباحث الانثروبولوجي هذا من جهة و من جهة أخرى فان الاهتمام البحثي لا ينصب فقط على محتوى الحلم و على نوعيتها من حيث أنها متكررة أو غريبة أو عادية ...الخ و إنما يبحث أيضا في التفسير المتداول للأحلام إذ نجد التفسير الذاتي و الديني و الخرافي و التراثي و النفسي لمحتوى الحلم .

إن لأحلام الأفراد بعدا اجتماعيا فالنوم هو الآخر جزء مهم في الدراسات السوسيولوجية و الأنثروبولوجية فالبحث الأنثروبولوجي لم يكتف بالمعيش النهاري للأفراد بل اهتم أيضا بالمعيش الليلي خاصة بالأحلام.

في ضوء ما سبق تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على أهمية التفسير العلمي الأنثروبولوجي للأحلام حيث أن التفسيرات بقيت و لفترة طويلة من الزمن حكرا على التفسير النفسي و الفردي و ذلك من خلال جمع مجموعة من الأحلام التي أردنا أن نرصد من خلالها أهم التفسيرات التي يعطيها أصحابها لأحلامهم و علاقة ذلك بالتراث .

1. إشكالية الدراسة:

يعيش الفرد نائما لفترة طويلة تصل إلى ثلث حياته في هذه الحياة، فمعدل النوم الطبيعي لدى كل فرد هو ست إلى ثمان ساعات يوميا، ولا شك أن هذا وقت طويل، وعالم الأحلام عالم مستقل استقلالية تامة، نعم هو له علاقة كبيرة بعالم الواقع ولكنه يتميز بقوانينه ورموزه الخاصة أن الأحلام يمكن أن تكون وسيلة للاتصال وتوقع المستقبل بواسطة الإيحاء وهي ظاهرة محيرة لا يمكن فهمها إلا

على أسس الباراسايكولوجي ونظرياته الحديثة و" عمليات تفسير الاحلام هي عملية اكتشاف تصورات الحالم أو افكاره أو عملية كشف عن انساقه التصورية الذهنية[2]

يذهب **كالفن هول**[*] إلى تعريف الحلم بأنه "تواتر من الصور العقلية، وهي في غالبيتها صور بصرية من حيث نوعيتها، تمر بالفرد كخبرات خلال النوم، وللحلم عادة مشهد أو مشهدان، ويشتمل على عدة أشخاص بالإضافة إلى الشخص الحالم، ويتضمن سلسلة من الأنشطة والأعمال والتفاعلات وهذه كلها ينتظم الحالم في أحداثها. فهو (الحلم) يشبه صورا متحركة أو عرضا دراميا يكون دور الحالم فيه مزدوجا إذ هو المشارك والمشاهد معا". [3]

هذا التعريف مهم بلا شك، ذلك أن المشارك في الحلم والمشاهد له إذا كان "واليا" فسيضفي ذلك على حلمه طابعا خاصا فلا شك أن هناك فروق فردية في الأحلام، فالأفراد "يتفاوتون كثيرا في عاداتهم الإحتلامية" [4] ولهذا فالحلم هو الآخر يكتسب صفة دينية بحسب مصدره وهكذا أخذت الأحلام دورها في الحياة اليومية وأصبح التفسير هو هدف الجميع ويتطرق "فرويد" لهذه النقطة في كتابة "الطوطم والتابو"حين يذكر أننا " ... نحلم في الليل، وتعلمنا أن نفسر الحلم في النهار، وقد يظهر الحلم مع الحفاظ على طبيعته مشوشا وبلا ترابط، وبالعكس قد يحاكي في نسقه الانطباعات عن شيء معاش،وأن يستخلص واقعة من أخرى، وأن يلبس جزءا من محتواه جزءا آخر يبدو أن هذا يتيسر له بشكل كامل، أن لا تظهر للعيان في مكان ما لا معقوليته، أن لا يظهر فتق في نسيجه، وإذا أخضعنا الحلم للتفسير، علمنا أن عدم الثبات وعدم الانتظام في ترتيب مكونات الحلم ليس معيقا البتة لفهم الحلم". [5]

فالتفسير يأخذ أبعادا عديدة يمتزج فيها الخيال بالواقع بشكل غير عقلاني فمجرد رؤية المرأة الحامل أحد الأولياء فإن مولودها يسمى باسمه سواء شاهدت في منامها الولي في شخصه أو أحد رموزه كسيدي لخضر مثلا فرؤية شخص يرتدي رداءا أخضر اللون فيعني انه هو أو رؤية النخلة أو غيرها "والنصيحة من الولي في منام أي شخص هي كالأمر الواجب أتباعه وإلاّ حصل مكروه له، أو لأحد المقربين إليه. "وكأي من المعتقدات الخرافية نجد أن التطير والتشاؤم يؤثر على ميكانيكية التفكير فيكبتها أو يعطلها ويدفع بالإنسان إلى اتخاذ مواقف لا تستند إلى تعليل عقلاني، سواء بالإقدام على العمل بالاستناد إلى الفأل الحسن أو الإحجام بتأثير نذير الشؤم. وتجعل المزاج هو المحرك المتحكم بدل أن يكون العقل". [6]

يعتبر الحلم مقدسا و تعبيرا عن الغيب و عن المستقبل و اتصالا بين الأحياء و الموات و بين أسرار الحياة كلها و بين الحالم و ليس في مجتمعاتنا العربية والاسلامية مرجع أشهر من كتاب ابن سيرين في تفسير الأحلام فى التراث الإسلامى و الذي يعرض شتى الرموز التى يمكن أن يراها الحالم.كما أن لكل مجتمع ولكل جماعة بل لكل فرد رموزه الخاصة فى الحلم فالكلب مثلا يعتبر عند البعض رمز للوفاء وعند البعض الاخر رمز للعدوان ثم ان ولع الناس بالتفسير على أساس دينى جعل شيوخ المفسرين على

القنوات الفضائية و الجرائد و على الانترنيت أشبه بنجوم الفن و التمثيل رغم أنه لا يوجد مفتاح موحد تفسر عليه كل الأحلام وهذا لايمنع من وجود بعض الرموز المشتركة بين البشر ولكنها ليست هى الغالبة.

في المخيال الاجتماعي هناك تشابها بين النوم والموت،فالنوم هو موت قصير تذهب فيه الروح الى عوالم أخرى وتعود عند اليقظة و هناك من لا يستطيع النوم (الارق) اضافة الى كل هذا فان الحلم المتكرر يسبب ازعاج دائم لصاحبه مثل: السقوط من مكان مرتفع/سقوط الاسنان/جري الكلب أو حيوان وراء الحالم/المشي حافيا/غالبا ما يستيقظ صاحبها و هو في حالة فزع.

فالأحلام تعكس ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الحالمون.و نحن نطرح العديد من التساؤلات فيما يخص هذا الجانب المغيب في الدراسات العلمية الجادة و لا نبالغ لو صرحنا أن التناول السوسيولوجي و الأنثروبولوجي للأحلام لم تأخذ حقها بعد من الدراسات العلمية الجادة و المعمقة رغم ما للحلم من تأثير في السلوكات النهارية للحالم .

ورث أفراد المجتمع المستغانمي ضمن ما ورثوه من الأجيال السابقة مجموعة من التفاسير و التأويلات لمحتوى أحلامهم . تعتبر هذه التفاسير الشفوية المتناقلة من جيل لاخر بمثابة قواميس يلجأون اليها لتفسير أحلامهم. لذا فإننا نحاول أن نزيل الستار عن الأحلام في التراث المستغانمي و ذلك بوضعها في إطار علمي أكاديمي يتناول الرموز بأبعادها الأنثروبولوجية .

و عليه فإننا نتساءل في هذه الدراسة عن:

- كيف تفسر الرموز الموجودة في الأحلام من خلال التراث المستغانمي؟
- الى أي مدى تؤثر الأحلام الليلية في تحديد السلوكات النهارية للحالم؟
- ما هي الدلالات التي تعطى للرموز في المنام و ما علاقة ذلك بالتصور الواقعي لذلك الرمز في الواقع اليومي للحالم؟

كيف يمكن لرؤية الأولياء الصالحين في المنام أو أحد رموزهم الى تغيير الواقع النهاري للحالم؟

2. فرضيات الدراسة :

- ❖ تؤثر الأحلام الليلية في تحديد السلوكات النهارية للحالم.
- ❖ الدلالات التي تعطى للرموز في المنام لها علاقة بالتصور الواقعي لذلك الرمز في الواقع اليومي للحالم.
- ❖ لرؤية الأولياء الصالحين في المنام أو أحد رموزهم دور كبير في تغيير الواقع النهاري للحالم؟

3. أهمية الدراسة:

تكتسي هذه الدراسة أهميتها من حيث أنها تناقش موضوعا مهملا في البحث العلمي و الانثروبولوجي خاصة و هو موضوع الأحلام و كل ما يتعلق بها من حيث علاقتها بالواقع النهاري للحالم و من حيث الدلالات و الرموز التي تحيط بها و كذا من حيث التفسيرات التراثية للأحلام و التي قلما درسها الباحثين خاصة في المجتمع الجزائري .

4. أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة الى وضع محتوى الأحلام في قالب علمي أكاديمي و التنبيه الى ضرورة اخضاعها للدراسة العلمية الجادة وفق منهج علمي دقيق إضافة إلى التنبيه لضرورة قراءة التراث هو الاخر قراءة علمية بحثية جادة.

5. تحديد المفاهيم :

- **الحلم** :هو تجربة فردية يعيشها الحالم وهو "تواتر من الصور العقلية و هي في غالبيتها صور بصرية من حيث نوعيتها،تمر بالفرد كخبرات خلال النوم،وللحلم عادة مشهد أو مشهدان و يشتمل على عدة أشخاص بالإضافة الشخص الحالم و يتضمن سلسلة من الأنشطة و التفاعلات"[7]
- **التراث**:يقصد به مجموعة الخبرات و المكتسبات المادية و غير المادية التي ورثها الخلف عن السلف وهو كل ما وصل الينا من الماضي و يؤثر في حياتنا و افكارنا و تصوراتنا و انضباعاتنا حول الأشياء و حول الحياة بصفة عامة.
- **الرمز**: وسيلة من وسائل تحقيق الرباط الاجتماعي لجماعة بشرية ما فالمجتمع الخالي من الرموز هو مجتمع ميت فالرمز عبارة عن مجموعة معاني ودلالات متعارف عليها اتفقت على وضعها جماعة بشرية ما و ذلك للدلالة على تصور ما يربط بين الرمز و الرامز و المرموز اليه فهو (أي الرمز) حامل للمعانى أو التصورات التي يستخدمها المجتمع في الحياة اليومية كاستخدام الحمام كرمز للسلام، أو المطرقة والمنجل كرمز للشيوعية أو رمزية اللون الأحمر للخطر في اشارات المرور.

6. منهج الدراسة :

تسجل هذه الدراسة نفسها ضمن المنهج الكيفي الذي يجيب عن السؤال كيف؟ و يهتم بوصف الظاهرة محل الدراسة.إذ يعتبر البحث النوعي من البحوث المناسبة للمجتمعات التقليدية التي تتصف بالانغلاق الثقافي وذلك لأن البحث النوعي يستخدم لدراسة الظواهر والحالات التي لا تتوافر عنها معلومات وافيه أو لمعرفة أشياء جديدة عن حالات يطلب التعمق فيها[8]

7. التقنية المستخدمة في الدراسة :

استخدمنا المقابلة التي تستلزم الحوار بين طرفين: الباحث والمبحوث وهي محادثة تواصلية مباشرة وجها لوجه يتسم هذا التواصل أنه مباشر وحميم يجمع بين طرفين في الزمان والمكان والمقابلة عبارة عن أسئلة شفوية مباشرة، قد تكون عفوية أو منظمة وهي "أداة بحث مباشرة تستخدم في مساءلة الأشخاص المبحوثين فرديا أو جماعيا، قصد الحصول على معلومات كيفية، ذات علاقة باستكشاف العلل العميقة لدى الأفراد، أو ذات العلاقة بالتعرف من خلال الحالة الفردية لكل مقابلة، على الأسباب المشتركة على مستوى سلوك المبحوثين".[9] وليست المقابلة الجيدة مجرد سلسلة من الأسئلة العارضة والإجابات العامة، بل هي خبرة دينامكية بين شخصين، تخطط بعناية لتحقيق هدف معين من خلال خلق جو ودي وتوجيه المناقشة في الاتجاهات المطلوبة وتشجيع المبحوث على كشف المعلومات، وإثارة دوافعه لكي يستمر في تقديم حقائق مفيدة، كل ذلك يتطلب درجة عالية من المهارة والكفاءة .

جاء اختيارنا لهذه التقنية من فكرة مفادها أن الكثير من الا فراد في المجتمع الجزائري يميلون لتقديم المعلومات شفويا أكثر من تقديمها كتابة والجزائر تشترك في ذلك مع المجتمعات التي تعرف مستويات تعليمية منخفضة وتزيد فيها نسب الأمية فهم يعطون البيانات كاملة، وبسهولة أكثر في المقابلة الشخصية منها في الاستمارة الكتابية.

كما يستطيع المقابل أن يصل عن طريق التعليقات الجانبية وتعبيرات الوجه التلقائية ونغمة الصوت إلى معلومات لا يمكن نقلها عبر الإجابات المكتوبة و على حد تعبير جورج غوريفتش "العلاقة بين الباحث والمبحوث ليست أبدا حيادية.[10]

7-1 تسجيل المقابلات:

- **التسجيل عن طريق الكتابة:** استخدمنا هذه الطريقة مع المبحوثين الذين يرفضون تسجيل أقوالهم بالمسجل الصوتي.
- **التسجيل الصوتي:** عن طريق استخدام الجهاز الآلي الخاص بالتسجيل مع المبحوثين الذين اقتنعوا بتسجيل أقوالهم.
- **النسخ:** يتعلق الأمر بإعادة سماع المقابلات وكتابتها وتفريغها حسب دليل المقابلة وهي عملية صعبة نوعا ما نظرا لحجم الوقت الذي تستهلكه اذ " يعتمد الوقت المطلوب لنسخ المقابلة على جودة التسجيل و خبرة الناسخ و كذلك مدى دقة التفاصيل،ويعد نسخ كميات من مواد المقابلة غالبا عملا شاقا و مؤثرا"[11] و"على الرغم من أن جودة اجراء المقابلة قد نوقشت بشكل مكثف فان جودة النسخ المقابلات ما زالت قضية مهملة "[12]

2-7 التحليل الكيفي للمقابلات:

" إن موطن القوة الاعظم للتحليل الكيفي هو أن كلا من عملية جمع البيانات وتحليل البيانات تسيران معا جنبا الى جنب" [13] كما يتطلب التحليل الكيفي للمقابلة الانطلاق من فرضية أن كل خصوصية تحمل سيرورة نفسية أو سوسيولوجية نريد تحليلها لذلك قمنا بإعادة إنتاج مختلف تصريحات المقابلات رغم أنها شخصية من حيث الإنتاج إلا أنها تحمل عناصر تحليلية أساسية لفهم الظاهرة المدروسة حيث قمنا بعملية كشف وتصنيف والمقارنة للمعطيات البحثية من أجل وضع بناء منهجي دقيق للظاهرة وذلك بتقسيم تصريحات المقابلات حسب المواضيع والأفكار الأساسية لكل موضوع من خلال تفريغ الأشرطة لتحويلها في ما بعد إلى تصريحات مكتوبة مما تنتج عنه تصريحات أكثر ثراء للمحتوى وأخرى أقل ثراء للمحتوى. لذلك ركزنا على التصريحات الأكثر ثراء للموضوع.

8. مناقشة نتائج الدراسة:

1-8 التفسير الديني للأحلام:

من خلال هذه الدراسة توصلنا الى أن هناك خلفية دينية لتفسير الأحلام و هناك من الأفراد من يملك كتابا لتفسير الاحلام خاصة كتاب بن سيرين و هناك من يتصفح الانترنيت لإيجاد تفسير لحلمه لكن هذه الفئة تركز على التفسير الديني للحلم باعتبار الحلم مقدسا و يغوص في الغيبيات

تجدر الاشارة هنا الى أن الإسلام اهتم بالرؤيا وليس بالحلم و أعطى لها أهمية بالغة و هناك بعض السنن الدينية التي أساسها رؤيا كعيد الأضحى مثلا و نجد الرؤيا و الأحلام مذكورين في الكثير من الآيات من القرآن الكريم:

في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ اَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ ﴾ **سورة الأنبياء الاية 05** وحين قال الله تعالى عن رؤيا محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا ﴾ سورة الفتح الاية 27 وبين قوله تعالى لإبراهيم ﴿ وناديناه أن يا ابراهيم (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إنا كذلك نجزي المحسنين (105) ﴾ **سورة الصافات الاية 105/104** و كذلك قوله ﴿ يابني إني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ **سورة الصافات الآية 102**

و لعل أشهر الرؤى هي رؤيا يوسف عليه السلام التي قصها على أبيه في صغره :﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالْشَمْسَ وَاَلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ **سورة يوسف الآية 4**. والتي تحققت في كبره وبعد عشرات السنين، وعلم تأويلها بأن الكواكب هم إخوته، وأن الشمس والقمر هما والديه وكذلك رؤية صاحبيه في السجن : ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ اَلْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ اَلْطَّيْرُ مِنْهُ...﴾ **سورة يوسف الآية 36** .

وأخيرا رؤيا ملك مصر عن السبع بقرات السمان اللاتي يأكلهن سبع عجاف ﴿ وَقَالَ اَلْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٌ وَسَبْعُ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ...﴾ سورة يوسف الآية 43 فعجز الملأ من قومه وخاصته على تفسير رؤياه، فاعتذروا له بأنهم يرونها ﴿ أَضْغَاثٌ أَحْلاَمٍ..﴾ **سورة يوسف الآية 44** و التي أولّها له سيدنا يوسف عليه السلام.

2-8 تفسير رؤية الأولياء الصالحين في المنام:

يقال أن الولي ينادي في المنام و أن رؤية الأولياء في الحلم في صورة باعثة على الحزن أو المستبشرة تؤثر نفسيا على الأفراد فهم في انتظارهم الدائم للمعجزات التي قد تصدر عن "وليهم "بين الحين والآخر ويهرعون إلى تفسير أحلامهم بطريقة قد تكون خرافية لكنها مقنعة ومريحة بالنسبة لهم. ويشير الفيلسوف ابن سينا للأحلام إذ يعطى جملة من القواعد والشروط لحدوث الحلم ذو المنشأ الإلهي. فهذا الحلم حسبه لا يحصل بالضرورة لكل نفس ناطقة أرضية. فالرؤيا الصادقة عبارة عن رسالة سماوية، أو شكل من أشكال الوحي الإلهي، بهذه الحالة تتطلب هذه الرؤية الصادقة، نفسا ناطقة فاضلة عاملة، إضافة لتوفر ظروف وشروط ضرورية ملحة لإرسال هذه الرسالة الإلهية بوقت محدد، ولنفس محددة.

" الغريب في أحلامنا أيضا أننا نتذكر حوادث و أشخاصا لم نفكر بهم منذ سنوات طويلة و لم يخطروا ببالنا قط في اليقظة فيظهرون فجأة في الحلم بمظهر من يعرف أحدنا الاخر معرفة جيدة ،وبمظهر من تذكرناهم كثيرا و يبدو اننا فتحنا في الحلم خزان خبراتنا و ذكرياتنا الكبير الذي نجهل عنه كل شيئ في النهار"[14]

يربط الفيلسوف ابن سينا بين صدق الرؤيا، ونوع المحاكاة التي تقوم بها القوة غير المتخيلة، أي لا حلم بدون فعل محاكاة فالرؤيا تكون صادقة في حالة محاكاة الأشياء، بطرق متعددة، تارة عندما تكون محاكاة الأشياء قريبة جدا، وتارة عندما تكون المحاكاة بعيدة. وبهذه الحالة الأخيرة، نكون بحاجة إلى مفسر يفسر لنا ما حلمنا به ... فلا حلم بدون خيال، ولا رؤيا صادقة بدون متخيلة فاضلة عالمة متعاونة مع عقلها العلمي باتصاله واستقباله للمعقولات عن طريق العقل الفعال[15]

تقول احدى المبحوثات :" **رأيت في منامي قبة سيدي عبد الله كنت داخل الضريح و ابنتي تضح الحناء و عندما رويت حلمي لخادمة الضريح طلبت مني احضار الحناء** " و بعد أن تحضر هذه الفتاة الحناء للخديمة تضعها في النافدة الغربية و تطلب منها أن تعود يوم الأحد المقبل و المدة هي أربع أسابيع و لما تأتي بيم الأحد الأول تدور الفتاة سبع مرات على القبة و في الأسبوع الرابع تضع الخديمة الحناء في يد الفتاة و تخلطها بالسكر و ماء الزهر و تغطيها لها بقطعة من قماش ذات اللون الأخضر التي يدعى "العْلاَمْ" ثم بعد ذلك تدخل رأسها داخل ما يسمى ب "السَنْجَاقْ" و تقوم الفتاة بالدعاء و طلب ما تريده من الله، و بعد انتهاء هذه العملية تعطى الفتاة للخديمة النقود أي الزيارة. لما تذهب

الفتاة إلى منزلها تنزع الحناء من يدها و تضعها في ماء الزهر فترمي نصفها في الورد أو النبات و النصف الآخر ترميه في أي مكان في الشارع، و لما تتحقق أمنيتها أو تتزوج تعيد العلام إلى الخديمة و تعطيها معه أي شيء كهدية.

وعلى الرغم من ميتافيزيقية هذه الآراء في تفسير الأحلام عند ابن سينا، إلا أنها تتفق مع المضمون العلمي مع اللغة الحديثة في تفسير الأحلام، فعلماء النفس يفسرون الأحلام بأنها انعكاس لما تحت الشعور فيمكن عندئذ استبدال كلمة "تأويل" بكلمة "تحليل نفسي" أو بكلمة"خيال" أو كلمة "ما تحت الشعور".

تقول احدى المبحوثات **" لم يكن أحد يأتي لخطبتي حتى زرت الولي و أعطتني خادمة الضريح شمعة و طلبت مني اشعالها في الليل في تلك الليلة زارني سيدي الهواري في المنام و فعلا خطبت في ذلك الاسبوع و انا اليوم متزوجة ".**

أما علماء الاجتماع فينظرون إلى الأحلام بعلاقتها مع المحيط الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذي يعيش فيه الحالم ومن خلال المخيال الاجتماعي الذي تشكل عنها أو الذي شكلها إن الكرامات التي ملكها الاولياء تجعل من رؤيتهم ف الحلم هي الأخرى كرامات فالقدرة التي يملكها هؤلاء –الأموات الأحياء- تشبه ما وصفه ابن خلدون بـ "الخاصية التي هي الإنسان على الإطلاق مثل النوم أو بالخاصية الموجودة لدى بعض البشر من أهل الكشف من الصوفية فتلفت حينئذ الذوات التي فوقها من الملأ لما بين أفقها وأفقهم من الاتصال في الوجود".[16]

ويستعمل "يونغ" مفهوم الشخصية "المانا"[**] للتعبير عن"تلك المرأة التي يجب أن تطاع وهي المرأة التي تملك قدرة خفية كامنة، المانا بالتحديد والتي تجسدت عبر التاريخ في صورة البطل وفي الرجل الإله الذي يعتبر الكاهن ممثله في الأرض".[17]

3-8 تجلي الولي عبر الرؤيا للناس:

تقول احدى المبحوثات **"ان الله يرسل رسائل عباده عن طريق الاحلام و عن طريق رؤية الولي تحل عقدة العانس و التي لم ترزق بمولود و غيرها من المشاكل فرؤية الولي في المنام هي بشرى للرائي"**

ويمكن أن ندرج كمثل هنا أحلام تشبه ابن عليوة بالمسيح عيسى عليه السلام وهي رؤيا الشيخ الحسن بن عبد العزيز التلمساني قال :"رأيت نفسي وسط بطحاء مدينة تلمسان وهي غاصة بجم غفير من الناس وهم ينتظرون نزول عيسى عليه السلام من السماء وإذ برجل قد نزل منها فقيل هذا عيسى فلما وقع بصري عليه وجدته هو الشيخ سيدي أحمد بن عليوة رضي الله عنه" [18]

رؤيا محمد بن الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي قال: رأيت جماعة من الناس يخبرون بترول عيسى عليه السلام ويقولون فيما بينهم أنه نزل وبيده سيف من خشب يضرب به الحجر فينقلب رجلا ويضرب به البهيمة فتنقلب إنسانا وإذا بي كان لي معرفة بذلك الرجل النازل، يكاتبني وأكاتبه ثم جئت لملاقاته وعندما اجتمعت به وجدته هو الشيخ سيدي أحمد العلوى رضي الله عنه على هيئة طبيب يعالج المرضى ومعه من الاعوان ما يزيد على الستين رجلا.[19] رؤيا الشيخ عبد الرحمن بوعزيز صاحب زاوية الجعافرة قال :

" ذكر لنا بعض الفقراء أنه رءا] كذا [القمر منشقا على نصفين ثم نزلت منه لوحة معلقة بالسلاسيل] كذا [ولا زالت تدنو من الأرض حتى لم يبق إلا مقدر] كذا [يسير وإذ بالأستاذ العلوي رضي الله عنه ظهر من أعلاها ومعه سيدنا عيسى عليه السلام فقام المنادي ينادي ان كل من أراد أن يرى عيسى عليه السلام مع الأستاذ الأعظم فها هما قد نزلا من السماء فليأت مسرعا فرجت الأرض بأهلها رجا واجتمعت الخلائق كلها وطلبوا الركوب مع الأستاذ على تلك اللوحة فقال لهم امكثوا فسنرجع اليكم."[20]
رؤيا أحمد بن حاجي التلمساني قال :"حينما كنت مشتغلا بذكر الاسم الأعظم رأيت حروف الجلالة قد ملأت الكون بأسره ونشأت منها ذات النبي صلى الله عليه وسلم على شكل نوراني ثم تجلت على هيئة أخرى فرايت فيها وجه الشيخ سيدي أحمد بن عليوه مكتوبا على ذاته مصطفى أحمد بن عليوة "ثم سمعت صوتا يقول شهداء رقباء ثم تجلت الحروف مرة ثالثة بسورة الشيخ وعلى رأسه تاج وبينما نحن كذلك إذ بطائر نزل على رأسه يقول لى أنظر هذا مقام عيسى عليه السلام".[21]

يمكن أن نذكر هنا أيضا حلما معروف عن أم سيدي لخضر حيث أنها : **" في إحدى الليالي،رأت في منامها أن حزام أخضر اللون مرصع بقطع ذهبية يطوق قامتها و اتضح لها من خلال تأويل تلك الرؤيا أنها سوف ترزق بإذن الله بولد يكون له شأن عظيم في الناس و يسمى لخضر".**[22]

يقول أحد المبحوثين أيضا **"رأيت في المنام رجلا لا أعرفه يلبس لباسا أخضر إنه سيدي لخضر بن خلوف لهذا ذهبت لزيارته"**

ويقول أخر: **"ليس بالضرورة أن أرى الولي ممكن أراه هو أو أحد رموزه ك القبة ، الضريح الشجرة الخديم الشمعة أو ممكن أن أرى شخصا يدعى المجدوب أو بلقاسم أو منصور كل هذه الرموز تحيل للولي و على ضرورة الذهاب لزيارته"** و تقول مبحوثة أخرى :**"كل اولادي سميتهم على أولياء الله ابنتي سميتها قادية نسبة لسيدي قادة أما الذكور فعندي المجدوب و عبد القادر و العجال و بوعسرية"** وصرح أخر: **"أنا جدي سيدي الشارف و ضروري أن نسمي عليه ابناءنا خاصة الطفل الاول أي البكر أنا سميت ابني أشرف و في البيت نناديه الشارف أردت لابني اسما عصريا لكن دون أن أغضب جدي الولي"**

فالأحلام تحمل إذا معاني ورسائل بشرى تفاؤل وتشاؤم تحذير وتحفيز فالولي يقدم النصيحة لأتباعه عبر أحلامهم ويحذرهم أو يرشدهم إلى الطريق الصحيح فالمرأة الحامل إذا رأت واليا أو ما يرمز له في منامها فان اسم مولودها سيكون على اسم ذلك الولي بغض النظر عن جنس المولود فسيدي لخضر مثلا رؤيته أو رؤية رجل يلبس لباسا أخضر يرمز له فإن المولود أما يسمى لخضر أن كان ذكرا أو خضرة إن كانت أنثى. ولا زالت لحد الآن الأحلام التي يرى فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحد الأولياء الصالحين مصدرا للكثير من الممارسات التي تكسب نوعا من الشرعية بذكرها ويصبح الحلم في هذه الحالة كرامة بحد ذاته تعيد إحياء المقدس في مخيال الأفراد .

اعتبر العلم الحديث أن الاحلام هي نشاط للخلايا العصبية يعمل من خلالها الدماغ على التخلص من المعلومات غير المهمة و اعتقد المصريون القدماء أن للحلم قدرة تنبؤية وكمثال على ذلك تفسير سيدنا يوسف لحلم الملك الذي جنب البلاد مجاعة سبع سنوات.أما فرويد ومع كتابه "تفسير الأحلام "اعتبر أن الاحلام تعتبر طريق ممتاز لمعرفة اللاوعي الداخلي العميق للأفراد.

فالأحلام اذا تحمل معاني ورسائل بشرى تفاؤل وتشاؤم تحذير وتحفيز فالولي يقدم النصيحة لأتباعه عبر أحلامهم ويحذرهم أو يرشدهم إلى الطريق الصحيح فالمرأة الحامل إذا رأت واليا أو ما يرمز له في منامها فان اسم مولودها سيكون على اسم ذلك الولي بغض النظر عن جنس المولود فسيدي لخضر مثلا رؤيته أو رؤية رجل يلبس لباسا أخضر يرمز له فإن المولود أما يسمى لخضر أن كان ذكرا أو خضرة إن كانت أنثى.

الاحلام عند المتصوفة رباط يجمع المريد بشيخه، فالتخاطر بينهما يجري عبر الأحلام، وكلما زادت علاقتهما وثوقا كلما تمازج حلميهما او استكمل أحدهما منام الآخر. كذلك رؤيا العوام للولي ليس أمرا عاديا حيث تقول احدى المبحوثات :

4-8 تفسير رؤية الحيوانات في التراث المستغانمي:

نورد هنا بعض الامثلة للتفسيرت التي يعطيها الفرد المستغانمي لبعض الأحلام و التي غالبا ما يكون تفسيرها مستمدا من التراث ومن التجربة النهارية للفرد الحالم و هي كلها مستمدة من تحليل المقابلات الميدانية :

البوم : تسمى في اللهجة المحلية لمستغانم **(الهامة)** يتشاءم الناس من البوم و يتطيرون منه سواء شاهدوه أو سمعوا صوته ، فإذا وصل صوت البوم سمع أحدهم وهو ينعب فوق سطح دار عامرة ، بسمل أهلها ، وحاولوا طرده ، ودعوا الله أن يحفظهم من شروره .كما أن رؤية البوم في الأحلام دليل على أن لصاً سيدخل الدار و يسرقها ، وإذا كانت رؤية البوم في الحلم ينعب فإن ذلك يعني الإيذان بشر كبير

الحية: الحية في الحلم إذا كانت صغيرة فهي حياة جديدة.أما غير ذلك فهي دين أو عدو .

الغراب: دخول الغراب في الحلم منزل الحالم من دون صوت معناه دخول لص إلى المنزل من أقرباء صاحب المنزل.

الذئب: من رأى في الحلم ذئباً فقد دل حلمه على وجود عدو ظالم يغدر بالأصحاب .

العقرب: خوّان ولذا فهو يقاتل أبناء جنسه حتى الموت.

5-8 أحلام التفاؤل و رموزها :

الحنة: رؤيتها تبشر بالخير"الْحَنَة حْنِينَة كِيْمَا يْقُولُو" "الحناء تتميز بالحنية كما بقال" تقول إحدى المبحوثات، فالحناء شجرة مباركة في الثقافة الشعبية ليست كباقي الأشجار وهي ذات صلة وثيقة بالأفراح والمناسبات، وهي مقترنة بالفأل الحسن، وتستخدم في الطب الشعبي

الماء : يدل على الأمان فالماء سر الوجود، الماء معجزة، ليس هناك عنصر من الوجود قد اقترن بالرموز والمعاني مثلما اقترن بالماء، أغلب معاني الماء الرمزية حاضرة ولهذا رؤيته غالبا ماتقترن بالايحابية و الفأل الحسن

6-8 تفسير رؤية الألوان في التراث المستغانمي:

اللون الابيض: إن اللون الابيض يختصر الألوان كلها فهو لا يمثل العدم بل يمثل وعاء لجميع الالوان و في معيشنا اليومي نجد الابيض لباسا للعروس و رداءا للميت و ثوبا للإحرام بالنسبة للحاج فهو أساس جميع المناسبات الكبرى في حياة الجزائريين اليومية.لهذا فتفسير رؤية اللون الابيض غالبا ما تكون ايجابية فقد ذكر اللون الأبيض في القران في عدة ايات كقوله تعالى :**"يوم تبيض وجوه و تسود وجوه"سورة ال عمران الاية 106** و قوله أيضا" **و نزع يداه فإذا هي بيضاء للناضرين" سورة الاعراف الاية 108** و كذلك قوله " **وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ "سورة يوسف الاية 12**

اللون الأسود:"السواد لون كسوة الكعبة والظلمة والنزول إلى طبقات الأرض السفلى وبعضها مساكن الجن والأسود أي الحية السوداء والكلب الأسود والقط الأسود من الصور التي يتشكل فيها الجان أي هي واسطة بين عالم الإنس وعالم الجان ولهذا لا يؤذون ويطلق سراحهم إذا وجدا خوفا أن يصابوا بأذى

اللون الاخضر : الخضرة تتميز على أنها قرينة الشجرة رمز الحياة و التجدد نخلة كانت أم سدر كما أنها اللون الطاغي في الفردوس وهي في الإسلام من الرموز الدينية الدالة على الدين والعبادة .هذه الرمزية

هي التي نجدها في تفسير الأحلام {فالثياب الخضر قوة دين وزيادة عبادة للإحياء والأموات وحسن حال عند الله تعالى وهي ثياب أهل الجنة ولبس الخضر أيضا للحي يدل على إصابة ميراث وللميت يدل على أنه خرج من الدنيا شهيد [23]

اللون الأحمر والأزرق : بعكس اللون الأخضر الهادئ فان اللون الأحمر والأزرق عند أفراد المجتمع المستغانمي لونان مكروهان و يعتبران مشئومين والزرقة لون العدو ولون اللؤم ولابد أن اللون الأحمر في مخيال الرمزي له صلة بالدم والشهوة والغضب

خاتمة:

يلعب التفسير التراثي للأحلام دورا ايجابيا في المحافظة على التراث المحلي بأدق تفاصيله كما ان الأحلام تتعدى البعد الفردي لتصبح ظاهرة سوسيو انثروبولوجية وثقافية وجب الإهتمام بدراستها دراسة علمية.خاصة و أن لكل مجتمع تفسيراته المحلية لأحلام أفراده ناتجة من التراث و البيئة السوسيو-ثقافية له.خاصة أنه غالبا ما تتم دراسة المجتمعات في حالة اليقظة مع أن جزءا مهما من الممارسات في اليقظة منبعها الاحلام.

المراجع :

1. رو
روجيه باستيد.السوسيولوجيا و التحليل النفسي،تر:وجيه البعيني، دار الحداثة، لبنان،1988 ص 23.
2. عب
د المنعم الحنفي،التحليل النفسي للأحلام،الدار الفنية للنشر و التوزيع،القاهرة،1988 ص 88

[*] بروفيسور في جامعة أمريكا، خبير بالأحلام

3. آ
ن (فراداي). الأحلام و قواها الخفية، تر: عبد العالي الجسماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995، ص 53.
4. ن
فس المرجع، ص 69.

5. س
يفموند(فرويد). الطوطم والتابو، تر: بوعلي يس، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1983، ص 118.
6. خ
ماش (سلوى) و بدران (إبراهيم)، دراسات في العقلية العربية الخرافة ، دار الحقيقة، بيروت، ط2 ، 1979، ص297.
7. فرا
داي ان تر عبد العلي الجسماني الأحلام و قواها الخفية،مرجع سابق ص 55
8. ال
حمداني، موفق وآخرون. مناهج البحث العلمي. عمان، دار المسيرة2005. ص56
9. م
وريس أنجرس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية،(تدريبات عملية) أشرف على الترجمة مصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر،2006 ، ص 197.
10.
Georges Gurvitch . Traité de sociologie .PUF ،Paris 1970، P140.
11.
شتينر كفال إجراء المقابلات_تر:عبد اللطيف محمد خليفة المركز القومي للترجمة القاهرة ط1 2012 ص171
12. ن
فس المرجع ص 179
13. ش
ارلين هس-بير، باتريشيا ليفي ، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية ،تر:هناء الجوهري،المركز القومي للترجمة،القاهرة، ط2011.1 ص، ص 603 -604
14. ا
ريش فروم، الحكايات والأساطير والأحلام :مدخل الى فهم لغة منسية، تر:صلاح حاتم،دار الحوار للنشر و التوزيع،سوريا،ط1 ،1990 ص12
15. ل
لمزيد من التفصيل أنظر: بن يوسف (برهان مهلوبي)، "مكانة الخيال في "نظرية المعرفة عند ابن سينا"، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية، الرسالة 145، الحولية العشرون، 1999 – 2000، ص ص 69 – 90.

16. ا

بن خلدون عبد الرحمان. المقدمة ، ص106.

(**) المانا: تعني القوة تشير إلى القوة الخفية التي تعتقد بعض الديانات البدائية أنها تحرك و تمنح الإنسان كل الملكات الطبيعية و ترتبط هذه القوة غالبا بشخص يوجهها أو بأرواح الموتى.

17.

ونغ (كارل). جدلية الأنا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1997، ص175.

18. ع

دة بن تونس. الروضة السنية في المآثر العلوية ، ص135 .

19. ن

فس المرجع ص137 .

20. ن

فس المرجع ص138 .

21. ن

فس المرجع ، ص145

22. م

نشورات جمعية آفاق مستغانم ، سيدي لخضر بن خلوف حياته و قصائده ج 1 دار الغرب للنشر و التوزيع 2006 ص23

23. ا

بن سيرين تفسير الأحلام الكبير ص102.